

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: <https://www.researchgate.net/publication/349310013>

قصص الحيوان: من كليلة ودمنة حتى فاكهة الخلفاء

Article · February 2021

CITATIONS

0

READS

198

1 author:



Ahmed Elwany
Sohar University

42 PUBLICATIONS 0 CITATIONS

SEE PROFILE

Some of the authors of this publication are also working on these related projects:



السرد، رسم الشخصيات، النقد الروائي، نجيب محفوظ [View project](#)



الججاج - السرد - الأخبار - التراث - الطفيليون [View project](#)

قصص الحيوان؟!!

من كلية ودمنة .. حتى فاكهة الخلفاء

د. أحمد علواني

FEB 07 2021



تعتمد قصص الحيوان على الرمز بوصفه وسيلةً تهاديبيةً، يتمكن عن طريقها الكاتب من نصح ووعظ وإرشاد المتلقي، بطريق غير مباشر. هو السرد على لسان الحيوان، ومن هنا ارتبط هذا النوع الأدبي بالحيوان¹، وتمت

تسميته ب(أدب الحيوان)، ويُعرف بكونه عبارة عن "قصص رمزية يحرك كاتبها حيواناته كما يشاء، وينطلقها بما يريد، وهدفه من ذلك قول ما لا يستطيع قوله على لسانه، أو على لسان إنسان آخر، لظروف تمنعه من التصريح"².

تعتمد قصص الحيوان على الرمز بوصفه وسيلةً فنيةً تهاديبيةً، يتمكن عن طريقها الكاتب من نصح

ووعظ وإرشاد المتلقي، بطريق غير مباشر.. هو السرد على لسان الحيوان، ومن هنا ارتبط هذا النوع

الأدبي بالحيوان¹، وتمت تسميته بـ(أدب الحيوان)، ويُعرّف بكونه عبارة عن "قصص رمزية يحرك كاتبها حيواناته كما يشاء، ويُنطقها بما يريد، وهدفه من ذلك قول ما لا يستطيع قوله على لسانه، أو على لسان إنسان آخر، لظروف تمنعه من التصريح"².



ويرى عبد الحميد يونس أن هذا النوع من الحكيم "عبارة عن حكاية حيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهي قصيرة تقوم بأحداثها حيوانات تتحدث وتتصرف كالأناسي، وتحفظ مع ذلك بسماتها الحيوانية، وتقصد إلى مغزى أخلاقي"³.

ويرى عبد الحميد يونس أن هذا النوع من الحكيم "عبارة عن حكاية حيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهي قصيرة تقوم بأحداثها حيوانات تتحدث وتتصرف كالأناسي، وتحفظ مع ذلك بسماتها الحيوانية، وتقصد إلى مغزى أخلاقي"³.



وتحمل كتب التراث أشتاتاً من الخرافات عن الحيوانات والجمادات والأفلاك والنباتات، ولعل أشهر الكتب -على سبيل المثال لا الحصر- التي ظهر فيها هذا النوع من الأدب الرمزي هي: "مجمع الأمثال" للميداني، وفيه نماذج من إنطاق الحيوانات كلاماً، وكذا كتاب: "الحيوان" للجاحظ، وكتاب "حياة الحيوان" للدميري، و"محاضرات الأدباء" للراغب، و"البصائر والذخائر" لأبي حيان.

وعلى الرغم من كثرة الكتابات الرمزية إلا أن "ابن المقفع" يُعدُّ المؤصل الأول، أو المؤسس الحقيقي لهذا النوع الأدبي في التراث القصصي العربي المدون، حيث استعار "ما وضع على السنة البهائم والطير في خلق منظومة رمزية لنص مضاد للسلطة، وكان "كليلة ودمنة" أول نص مدون لهذه الحكايات والخرافات في إطار الثقافة العربية"⁴. فظهرت بسببه كثير من الكتب النظرية والمنظومات الشعرية، التي تحاكيه وتنسج على منواله، إلى أن جاء كتاب "فاكهة الخلفاء" لابن عرب شاه، بوصفه آخر حلقة -قبل العصر الحديث- في سلسلة الكتابات الرمزية، أو القصص على لسان الحيوان، "فإذا كان كتاب كليلة ودمنة -بشهرته العربية والعالمية الطاغية- هو أول كتاب في تراثنا القصصي ينتقل بقصص

الحيوان الرمزية العربية من مرحلتها الشفاهية إلى مرحلتها الكتابية؛ فإن كتاب فاكهة الخلفاء هو آخر كتاب في التراث العربي على لسان الحيوان"⁵.

وقد تتبع محمد غنيمي هلال أشهر الأجناس الأدبية، ودرسها في نواحيها المقارنة؛ ليوضح كيف تم تبادل الصلات بين الآداب المختلفة، وكان من ضمن هذه الأجناس التي رصدها (القصة على لسان الحيوان)، حيث بحث جذورها التاريخية القديمة، وكيف نشأت شعبية أو أسطورية، ثم أخذت في الارتقاء كجنس أدبي له مكانته، وقد توصل في دراسته المقارنة للخرافة أو الحكاية على لسان الحيوان إلى أن ترجمة ابن المقفع لكتاب "كليلة ودمنة"، من اللغة البهلوية إلى اللغة العربية -حوالي القرن الثامن الميلادي- كانت سبباً في خلق هذا الجنس الجديد في الأدب العربي القديم، ثم توالى المؤلفات التي حاكته، ونسجت على منواله نظماً ونثراً، يقول غنيمي هلال:

"كانت ترجمة عبدالله بن المقفع هذه سبباً في خلق هذا الجنس الأدبي الجديد في اللغة العربية، ذلك أن حكايات الحيوان في الأدب العربي القديم قبل كليلة ودمنة كانت إما شعبية فطرية تشرح ما سار بين العامة من أمثال، وإما مقتبسة من كتب العهد القديم، أي ذات طابع ديني يتصل بالعقائد، وأما ما عدا ذلك فمتأخر عن كليلة ودمنة ومتأثر به"⁶. ولعل الحالة السياسية المضطربة، التي كانت تسود البلاد في زمن المنصور، الذي يشبهه بـ"دبشليم"، كانت من الدوافع الأساسية التي ألجأت ابن المقفع لترجمة هذا الكتاب. وقد شُغف الكُتّاب والشعراء بمحاكاة "كليلة ودمنة" فأخذوا ينسجون على منواله، فمنهم من عارضه، ومنهم من نظمته شعراً، ومنهم من حذا حذوه فألف وأبدع، ففي العصر العباسي الأول عهد "جعفر بن

خالد البرمكي⁷ إلى "عبدالله بن هلال" بترجمة الكتاب مرة ثانية له⁸، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه الترجمة. كما كلف جعفر "أبان اللاحقي" بنظم كلية ودمنة، فنظمه في 14000 بيت، لم يبق منها سوى سبعين بيتاً ذكرها "الصولي" في كتابه "الأوراق"، وهناك أيضاً: "نتائج الفطنة في نظم كلية ودمنة" للشريف ابن الهبارية، وهو الذي ألف كتاباً آخر على شاكلته سماه "الصادح والباغم"، كما نظم الكتاب شعراء آخرون منهم: علي بن داود وبشر بن المعتمر⁹، ثم نظمه في عهد "صلاح الدين" أسعد بن مماتي في مصر، ثم نظمه أيضاً "عبد المؤمن بن الحسن بن الحسين الصاغاني" تحت عنوان: "غرة الحكم في أمثال الهنود والعجم"، كما نظمه "جلال الدين الحسن بن أحمد النقاش" في القرن التاسع الهجري وغيرهم كثير، وقد كان آخرها في العصر الحديث منظومة "الشيخ محمد بن عبدالرحيم ترة" تحت عنوان: "زعموا أن" أو "كليلة ودمنة". وللأسف، فإن كثيراً من هذه المنظومات قد ضاع، ولم يصلنا، وبعضها ما يزال حبيساً في مكتبات الغرب، خاصة: فيينا وميونخ، ومكتبة المتحف البريطاني، وقلة قليلة هي التي طبعت¹⁰.



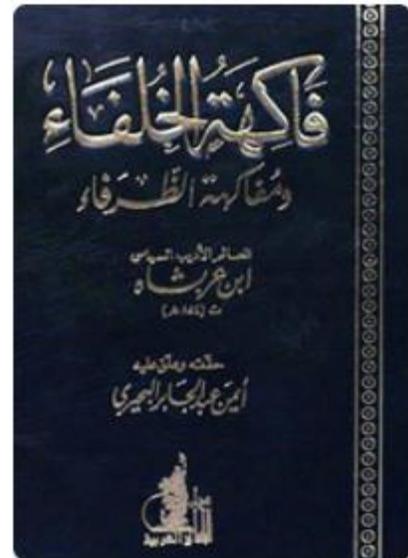
وعلى هذا الأساس يُعدُّ كتاب كليلة ودمنة هو العمدة أو المؤصل الأول، فلم يقتصر تأثيره على المنظومات الشعرية، بل تعدى ذلك كله، حتى وصل إلى الكتابات الفلسفية والفكرية. فمن الفلاسفة "إخوان الصفا" في القرن الرابع الهجري، فقد وظفوا الحيوانات وأجروا على ألسنتها آراءهم الفلسفية، فجاءت مبادئهم الفكرية داخل قوالب قصصية مبنية على الحوار والمناظرة لعالم الحيوانات والجن والإنسان، ففي رسالتهم "تداعي الحيوانات على الإنسان" تقرأ في نهايتها تصريح الإخوان بغرضهم وباعتهم الحقيقي من توظيف الحيوان: "ونحن قد بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب على لسان الحيوان، فلا تظنن بنا ظن السوء، ولا تعد مقالتنا لعبة الصبيان، ومخرقة الإخوان؛ لأن عادتنا جارية على أننا نبين

الحقائق بألفاظ وعبارات على وجه الإشارات، وتشبيهات على لسان الحيوانات، ومع هذا لا نخرج عما نحن فيه، عسى أن يتأمل المتأمل في هذه الرسالة وينتبه من نوم الغفلة، ويتعظ من مواظ الحيوانات وخطبهم، ويتأمل كلامهم وإشاراتهم لعله يفوز بالموعظة الحسنة"¹¹.

هكذا قام القص الرمزي بالدور المنوط به على أكمل وجه، لما وُجد فيه من خير معين، وأحسن خادم ومطيع، فعلى لسان الحيوان لبي المفكرون نداء أفكارهم المكبوتة -بسبب القمع السلطوي- ووصل الكُتاب إلى غاياتهم المقصودة، وكان من أبرزهم "سهل بن هارون"، فينسب إليه كتابان أحدهما بعنوان: "ثعلبة وعفراء"، والآخر -ونسبته إليه فيها نظر- بعنوان: "النمر والثعلب"، وأيضاً: "محمد بن أبي القاسم بن علي القرشي المالكي"، ألف كتاب: "سلوان المطاع في عدوان الأتباع"، وكتب "عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي"¹² "كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار"¹³.



ومن اللافت للنظر أن حكايات "ألف ليلة وليلة" قد حظيت بنصيبٍ وافٍ من قصص الحيوان، حيث أفردت الليالي صدرها لمجموعة كبرى من هذه القصص جاءت متصلة في قرابة نصف مجلد من مجلداتها الأربعة، كما جاءت متفرقة، متناثرة، في سائر قصص الليالي -كحكايات فرعية- ترويها شهرزاد تأكيداً لمبدأ أو تدليلاً لقضية، أو تفسيراً لسلوك، أو شرحاً لبعض الطباع الإنسانية، أو حسماً لموقف، أو برهاناً لفكرة. 14" فتطل حكايات الحيوان برأسها من مطلع الحكاية الإطارية لليالي، عندما تطلب "شهرزاد" من أبيها أن يزوجه "شهريار"؛ لتكون سبباً في إنقاذ بنات المسلمين، وحيلة لخلاصهن من المصير الأسود الذي يقضي عليهن الواحدة تلو الأخرى فجر كل صباح، ويجد الأب في طلب ابنته مخاطرة بالنفس، فيرفض طلبها بشدة، ولكنها تلح عليه فيحاول أن يثنيها عن قرارها بحكاية "الحمار والثور مع صاحب الزرع. 15"



ولقد كتب السيوطي مقاماته، فجاءت مجموعة منها قائمة على المناظرات والمساجلات، حيث وظف الرمز في ثلاث مقامات هي: "مقامة الرياحين"، و"المقامة المسكية"، و"المقامة الياقوتية". هكذا توالت الأعمال السردية الرمزية، التي اتخذت من الرموز الحيوانية أبطالاً وشخصاً، إلى أن جاء كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عرب شاه، بوصفه آخر كتاب تراثي -قبل العصر الحديث- على ألسنة الطيور والحيوانات.

الهوامش:

1. أطلق "جيرار جينيت" على هذا النوع الأدبي: (الخرافة الحكيمية أو الخرافة الحيوانية)، وذهب إلى القول بأنها: "أمثلة ذات وظيفة إقناعية" انظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997م، ص: 244. / محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب (جزآن)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1993م، ص: 3.45. / عبد الحميد يونس: الأعمال الكاملة، مجلد (1)، قام بالجمع والتنسيق: عائشة عبدالرحمن الخميسي، تقديم: أحمد علي مرسى، محمد الجوهرى، مصطفى جاد، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، 2007م. ص: 435.
4. / ضياء الكعبي: السرد العربي القديم "الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط1، 2005م، ص: 237. / أحمد بن محمد بن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق: د. محمد رجب النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، سلسلة الذخائر، عدد (94)، ط1، 2003م، ص: 6.7. / محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر - القاهرة، 2004م، ص: 151. / كان "جعفر بن خالد البرمكي" من المثقفين الفرس، الذين يعملون في خدمة

البلاط العباسي، ولما كان زمام السلطة الثقافية في بدايات الدولة العباسية بأيدي الفرس -ولاسيما البرامكة- فقد بادروا إلى التعصب لكتاب "كليلة ودمنة"، ووردوا الجوائز السنوية لمن يحاكيه شعراً حتى يسهل حفظه وذيوعه بين العامة والخاصة. ولعل الشعبية سر الاهتمام الكبير بكتاب "كليلة ودمنة"؛ الصراع المشتجر بين العرب والفرس سياسياً وثقافياً -دفع البرامكة- أحفاد الفرس إلى تبني كل مأثور يعود إلى الثقافة الفارسية... انظر: محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي "دراسة سوسيو سردية"، ذات السلاسل - الكويت، 1995م - ص 143. 8. / كانت الترجمة الأولى "الابن المقفع 9. /". محمد فتحي الرئيس: القصة على لسان الحيوان بين العربية والفارسية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلدان: (32-33)، الجزءان: (1،2)، مايو، ديسمبر (1970-1972م)، ص: 336. 10. / محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي "دراسة سوسيو سردية"، ذات السلاسل- الكويت، 1995م، ص: 143 - 11.144. / إخوان الصفا: تداعي الحيوانات علي الإنسان، تقديم: فاروق سعد، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط2، 1980م، ص: 12.263. / هو أحد المبرزين في الوعظ والنظم والنثر وينسب إليه كتاب: "كشف الأسرار"، ألفه في عصر "السلطان بيبرس"، انظر: محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، المجلد السادس: في النثر الفني، مكتبة الآداب - القاهرة، 1962م، ص: 74. 13. / ذكر "شوقي ضيف" أن: "هذا الكتاب الطريف يقع في 30 صفحة، وقد جعله المؤلف على السنة الأزهار، ثم السنة الطيور، ثم السنة الحيوان، ليكون موعظة لأهل الاعتبار، وتذكرة لذوي الأبصار والاستبصار، فهدفه التعليم والوعظ ودفع الإنسان إلى السير في الطريق السديد، واعياً لحكمة الله في خلقه، متعظاً بما تورده عليه الحيوانات والأطيوار والأزهار من مواعظ وحكم وأمثال" انظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي "عصر الدول والإمارات 14. /". محمد رجب النجار: التراث القصصي - مرجع سابق - ص: 146. 15. / هي أولى قصص الحيوان في

ألف ليلة، جاءت -قبيل الليلة الأولى- في مدخل الليالي. ولمزيد من التفاصيل راجع: ألف ليلة وليلة: إعداد: رشدي صالح، دار

الشعب، دت، ص: 18 - 20.